الفصل الثاني
المدائحُ النّبويّة في شعر الشّيعة

ربما بدا من المفارَقات الغريبة أن عودة الشُّعراء إلى تأمُّل سيرة الرَّسول ﷺ وتَعدادِ شمائله ، لم تعدْ من الموضوعات التي تشغلهم في الوقت الذي رَسَخَت فيه دعائم الإسلام ، وامتدَّ نوره إلى خارج الجزيرة العربيَّة بعد وفاة الرَّسول ، وعلى عهد الخلفاء الرَّاشدين ، ثم من تَلاهم من خلفاء بني أميَّة وبني العبَّاس. لم يَعْن ذلك ضعفاً في الإيمان ولا تراجعاً في نظرة الإجلال ، التي كان المسلمون ينظرون بها إلى شخصيَّة النَّبيِّ ؛ وإنما شغلت المسلمين أحداث كبرى تبدأ بحروب الرِّدَّة ، ثم الفتوح الإسلاميَّة ، وما أعْقَبَ ذلك عند قيام دولة بني أميَّة من أحداث هائلة ، منها الصِّراع الدّائر بين الأحزاب السِّياسيَّة المذهبيَّة من أمَويّين ، وشيعة ، وخوارج ، وزُبَيْريّين ، وبين العرب والموالي من فُرْس أو بَرْبَر ، وبين القبائل نفسها بعد أن عملت سياسة الأمويِّين على إثارة العصبيَّات القبليَّة .

أمَّا الشِّعر فقد كان في كل ذلك ما يشغله ويَسْتَغْرقُه ، وأصبح الشُّعراء إمَّا موزَّعين على هذه الفِرق السِّياسيَّة المذهبيَّة ، التي نشأت على أثر الخلاف بين علي بن أبي طالب و معاوية بن أبي سفيان ، أو مُنْخرطين في معارِكَ قَبَليَّةٍ أجْرَت على ألسنتهم سيلاً من المُساجَلات أو النَّقائض ، بما تحفِل به من فخر وهجاء على الطَّريقة الجاهليَّة القديمة ، و وضع فريق من الشُّعراء أنفسَهم في خدمة السُّلطان ، متوجِّهين بمدائحهم إلى الخلفاء أو عُمّالهم على الأمْصار ، فاتَّجهَ الشِّعْر إلى أن يصبح حِرْفةً يَتَكَسَّب بها الشُّعراء ، ومنذ ذلك الوقت